مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

إشكاليت تداخل المصطلح في النقد العربي المعاصر
النقد الثقافي/ النقد الحضاري أنموذجا

The Problematic Of the Term's Overlapping in Contemporary The Arabic Criticism: Cultural criticism / Civilization Criticism As a Model

الطالبت سميرة فرطاس
fartas.samira1@gmail.com
د. ليلى لعوير
جامعت الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميت – قسنطينت

تاريخ الإرسال:2019/03/08 تاريخ القبول:2020/11/16

الملخـــص:

تعجّ الساحة النقدية في المرحلة ما بعد الحداثية بفوضى اصطلاحية عارمة، فمن وحي التعدّد والتداخل والاختلاف تولد إشكالية اصطلاحية لا يحسد الخطاب النقدي العربي المعاصر عليها، وبالتمعّن في الأوساط الأدبية والنقدية اليوم نجد حضورا بارزا لمصطلحين متداخلين فيما بينهما هما: النقد الثقافي والنقد الحضاري، مصطلحان يعبران عن مفهومين يعالجان قضايا الأمة ورهاناتها ويحاولان إيجاد حلول للتأخر الذي تعانيه المجتمعات العربية سعيا إلى التّقدم الحضاري، ومن خلال هذه الدراسة سنقف على مفهوم كل منهما محاولين معرفة مواطن التداخل بين المصطلحين وأسبابه ونتائجه في النقد العربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: مصطلح، نقد، نقد عربي، نقد ثقافي، نقد حضاري.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

Abstract :

In the postmodern stage, the monetary arena is full of anarchic chaos. It is inspired by the multiplicity, overlap and differences that generate a problematic terminology that is not envied by the contemporary Arab critical discourse. In the literary and monetary circles today, we find a prominent presence of two interlocking terms: Cultural criticism and Civilizational criticism, The two concepts dealing with the issues of the nation and their insults and trying to find solutions to the delay experienced by Arab societies in the pursuit of cultural progress, and through this study will stand on the concept of each trying to know the overlap between the terms and causes and consequences in the Contemporary Arab criticism

Keywords: Term, Criticism, Arabic criticism, Cultural criticism, Civilizational criticism

المقدمـــة:

يعدّ المصطلح الناطق الرّسمي باسم العلم الذي يعبّر عنه، وبطاقة التّعريف الخاصّة به، فهو يحمل عبء المعرفة التي تختزل في إطاره، ولذلك لا بدّ أن يكون له وزن، ولا بدّ أن يتّسم بالدّقة، لذلك تحرص مختلف العلوم على تحديد مصطلحاتها تحديدا دقيقا. والعلوم الإنسانية بدورها تسعى جاهدة إلى انتقاء أنسب المصطلحات لمجابهة مشاكل المصطلح، خاصة وأنّ مواضيع العلوم الإنسانية متداخلة، كما أنّها تشترك في الأصول المرجعية ذاتها، إضافة إلى إنّ اتّساع المعارف زاد من حدّة المشكلة، ويعدّ النّقد الأدبي من المجالات التي تملك القدرة على التّعامل مع جميع المعارف بهدفه تقويمها وتقييمها، ما أدّى إلى تفاقم إشكالية العملية الاصطلاحية خاصة في الفكر العربي المعاصر.

وفي ظل الأزمة التي تعانيها المجتمعات العربية، عرفت الأوساط الأكاديمية أصناف عديدة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

من النّقود استمدّت مصطلحاتها من المجال المعرفي الذي تدرسه، فمثلا هناك النّقد الاجتماعي، النّقد النّفسي، النّقد التاريخي، النّقد الأدبي... وكلّ هذه النّقود لها أرضية تقوم عليها، ولها مجال تدرسه ومنهج تعتمد عليه، وأمام الأزمات الثقافية والاقتصادية والحضارية التي ألّمت بالعالم توسّع نطاق النّقد وامتدّ من الخاص إلى العام، وظهرت أنواع جديدة من النّقد تتسم بالشمولية في معالجة مواضيعها: النّقد الثقافي، النّقد الحضاري، النّقد المعرفي، النقد المدني...إلخ، وتقوم هذه النقود على نقد الواقع وتحليل الظواهر الاجتماعية، واستخراج الأنساق المضمرة التي تمرر أفكارا مغايرة عبر الأدب، وكذا الاهتمام بكلّ الجوانب الحياتية للإنسان من معتقدات وعادات وتقاليد وفنون...حتّى إنّها تعيد الاعتبار للمهمّش والمنبوذ والمرفوض والمقصي لدى المؤسسة النخبوية. فما هو النقد الثقافي؟ وما هو النقد الحضاري؟ وأين يكمن التداخل بين المصطلحين؟ وما هي أسباب التداخل؟

قبل البدء في معالجة المصطلحين النّقديين تجدر الإشارة إلى إنّ "الجاحظ" (ت555هـ) يعدّ أوّل من تطرّق إلى قضيّة المصطلح ودعا في "البيان والتبيين" إلى ضرورة حرص صاحب كل علم على عدم الخروج عن إطار الألفاظ الخاصة بالعلم الذي يدين به. بل ويعدّ من السّباقين الذين أشاروا إلى قضية المصطلح وطرق الاصطلاح يقول: «ولأنّ كبار المتكلّمين ورؤساء النّظارين، كانوا فوق أكبر الخطباء، وأبلغ من كثير من البلغاء، وهم تخيّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وقد اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك خلف، وقدوة لكلّ تابع»[1]، ومن خلال قراءتنا للجاحظ في هذا الباب لاحظنا أنّه أطلق

[1]– الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1998، ص139.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

على عمليّة الاصطلاح "صناعة الكلام"، هذا لأنّ الجاحظ كان يدرك أنّ عمليّة انتقاء المصطلح المناسب ضرورية وأنّ «مفاتيح العلوم مصطلحاتها ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يميّز كل واحد عمّا سواه. وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى مناطق العلم غير ألفاظه حتى لكأنّها تقوم من كلّ علم مقام جهاز من الدوال ليس مدلولاته إلاّ محاور العلم ذاته ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأفعال»[1]

وفي تناولنا لموضوع المصطلح لا بدّ أن نشير إلى أنّ الأزمة التي نعانيها في تحديد المصطلحات يعود سببها بدرجة كبيرة إلى كون «الدّوائر الغربية لم تدّخر جهدا في توليد المصطلحات تلو المصطلحات في حركة علمية لا تعرف التّريّث، وهذه الحركة أرهقت الجهد العلمي العربي المتذبذب حينا والمتريّث حينا آخر»[2] مما أدّى إلى خلط اصطلاحي وتداخل في المسميات التي تعبّر عن مفهوم واحد.

أولا: مفهوم المصطلح:

يعرّفه الشريف الجرجاني(ت 816ه)في معجمه "التعريفات" قائلا: «الاصطلاح عبارة عن اتّفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه، وإخراج اللّفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما. وقيل في الاصطلاح: اتّفاق طائفة على وضع اللّفظ إزاء المعنى، وقيل الاصطلاح، إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد،

[1]– عبد السلام المسدي قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص11.

[2]– محمّد سالم سعد اللّه، أنسنة النّص: مسارات معرفية معاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2000، ص 55، 56.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

وقيل الاصطلاح لفظ معيّن بين قوم معيّنين»[1] إذن عملية الاصطلاح تشترط اتفاق جماعة لغوية وإلاّ كانت دون معنى، والجرجاني هنا يقر بأنّ كون المصطلح خاص بمجتمع دون آخر لا يعدّ إشكالية، وهذا يعود إلى آية اختلاف الألسنة التي خص الله تعالى خلقه بها.

إنّ الاصطلاح ليس عملية اعتباطية، بل هو «اتفاق قائم على معايير، إن أي محاولة للتّصنيف في أقسام ينبغي أن تكون قائمة على وجوه شبه أو خلاف في كلّ ما يدخل في القسم المفترض وتميّز عما عداه، ولهذا لجأ أهل الاصطلاح إلى التعريف لكي يجدوا به المعرّف بحيث يكون جامعا مانعا»[2] والتعريف يزيد في تسهيل العملية الاصطلاحية لأنّه يتميّز بالشمول، ولا يخلو من الدّقة، وينشد الوضوح ويهدف إلى إزالة اللبس بين الألفاظ المتداخلة، ليكون بذلك مساعدا قويا لأهل الاختصاص.

كما يعرّف المصطلح بأنّه عبارة عن «كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالاتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتسميتها في إطار معيّن، تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معيّنة»[3]، وهنا إشارة إلى المصطلح المتخصص، فكل حقل علمي أو معرفي يمتلك مصطلحاته الخاصة التي لا يمكن تصنيفها إلّا في إطاره. وهذا التعريف يصبّ في سياق المفهوم الذي قدمه "عبد القادر

[1]– الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ت: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، دبي، دط، دت، ص 27.

[2]– محسن حسن عبد العزيز، المصطلح العلمي العربي المبادئ والآليات، مجلّة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع 66، 2005، ص62.

[3]– أحمد بوحسن، مدخل إلى علم المصطلح، المصطلح ونقد النقد العربي الحديث، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع60، 61، 1989، ص84

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

الفاسي الفهري" للمصطلح وذلك في قوله: «المصطلح لغة خاصة ومعجم لقطاع معيّن يسهم في تشييد بنائه ورواجه أهل هذا القطاع المعرفي المعيّن، لذلك يستغلق فهمه واستعماله على من ليس له دراية به، لعدم استعماله أو الحاجة إليه، إلاّ أنّ هذه اللغة الخاصة تتصل باللغة العامة المشتركة، وغير منفصلة منها، ولا تكاد تخرج عن الأصول التي تتحكّم فيها، فالمصطلح وإن استقل نسبيا عن اللغة العامة إلاّ أنّه يغترف منها وينسحب عليها، وألفاظه تكشف عن البعد الفكري والمعرفي لتلك اللغة»[1]، وليس بعيدا عن فكرة التخصص، يعرّف المصطلح «بأنه كلمة لها في اللغة المتخصصة معنى محددا وصيغة محددة وعندما يظهر في اللغة العادية يشعر المرء أن هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدد»[2] لكنّ فكرة التخصص تكاد تكون مستحلية كون العلوم الإنسانية مشتركة المواضيع، ويكمل بعضها بعضا، فإذا كان بإمكاننا معرفة المجال الذي ينتمي إليه المصطلح فإنه من الصعب تحديد انتماء الموضوع إلى مصطلح ما بسبب التداخل.

وبالرغم من كثرة التعريفات المقدمة للمصطلح إلّا أنّ المتخصصين في علم المصطلح يتّفقون على أنّ أفضل تعريف أروبي للمصطلح هو التعريف الآتي: «الكلمة الاصطلاحية، أو العبارة الاصطلاحية، مفهوم مفرد أو عبارة مركّبة استقر معناها أو بالأحرى استخدامها وحدّد في وضوح، هو تعبير خاص ضيّق في دلالته المتخصّصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة وله ما يقابله في اللغات الأخرى، ويردّ دائما في سياق النّظام الخاص بمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحه الضروري»[3] غير أنّ الواقع

[1]– مهدي صالح سلطان الشمري، في المصطلح ولغة العلم، ط1، جامعة بغداد، كلية الآداب، ص75.

[2]– محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، د ط، دت، ص111.

[3]– المرجع نفسه، ص12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

مختلف فأغلب المصطلحات في مرحلتنا هذه تتسم بالغموض، ومعظمها يفتقد إلى مقابل في اللغات الأخرى، ليس عجزا ولكن بسبب غياب الإجماع، الأمر الذي أدّى إلى تعدد المصطلحات التي تحمل الدلالة ذاتها.

ولضمان صناعة اصطلاحية ذات جودة عالية، حرص المتخصصون في الميدان على ضرورة مراعاة البعد الزمني في وضع المصطلح العربي مقابل لنظيره الأجنبي (الترجمة)، فنرى "عبد القادر الفاسي الفهري" يحذّر من استخدام المقابلات العربية الواردة في التراث العربي القديم، لأنّ هذا يساهم في خلق غربة في المصطلح العربي بالنظر إلى المدلول الذي يشير إليه المصطلح الغربي، وذلك يعود إلى إسقاطات ظرفية أو ذاتية يقوم بها المترجم، وينتهي إلى إيجاد مناسبات غير قائمة يقول: «تجنبنا– بقدر الإمكان– استعمال المصطلح المتوفر القديم للتعبير عن المصطلح الداخل، لأنّ توظيف المصطلح القديم لنقل مفاهيم جديدة قد يفسد تمثل المفهوم الجديد والمحلي على السواء، ولا يمكن إعادة توظيف المصطلح القديم وتخصيصه إذا كان موظفا، لأنّ هذا يؤدي إلى مشترك لفظي غير مرغوب فيه بالإضافة إلى سوء الفهم"[1] ويبدو الفهري حذرا في هذه القضيّة لأنّ البيئة مختلفة، والزمان مختلف، والمسمّيات القديمة وضعت لأشياء بعينها، وعليه فإنها لا تتناسب ونظيرتها الحديثة وإن تشابهتا أو اجتمعت بينهما مواصفات عديدة فالفروق واقعة لا محالة.

وفي خضم الفوضى التي تشهدها الساحة النقدية في هذه المرحلة، واستجابة للدعوات التي أطلقها المفكرون والنقاد العرب الذين سئموا النقد السائد في المؤسسات الرسمية. عرفت الأوساط الفكرية غزوا غير مسبوق لأنواع جديدة من النقد، لم تألفه

[1] – الفاسي الفهري، المصطلح اللساني، ص145، نقلا عن مجلة عالم الفكر، مج، 20، ع3، وزارة الاعلام الكويت، 1989، ص15.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

العقول العربية إلّا بعد تشريح الأزمة الثقافية والحضارية التي ألّمت بالأمة العربية، ومع ظهور نقد غير مؤسساتي، ظهرت مصطلحات متعددة متداخلة فيما بينها، ولعلّ ذلك يعود لكونها وليدة الترجمة أحيانا، ولكونها تعبّر عن مفاهيم متقاربة أحيانا أخرى، وفيما يلي سنقف على مصطلحين متداخلين محاولين سبر أغوارهما ومعرفة الأسباب الباعثة على هذا التداخل.

ثانيا: مفهوم النّقد الثقافي:

يغزو مصطلح النقد الثقافي عالم النقد العربي المعاصر، حيث نجد له حضورا قويا في مختلف المحافل الفكرية والأدبية للتعبير عن الخطاب النقدي في المرحلة ما بعد الحداثية، ويعدّ النقد الثقافي «نشاط فكري يتجسّد إنشاء لغويا ينتسب إلى الثقافة culture التي تتحدد بدورها طبيعته ووظيفته وحدوده، كما تحدد هويته (...) التي تميّزه عن غيره من ألوان النقد الأخرى، فهو نقد ثقافي cultural criticisme إنه موصوف (نقد) تتحدّد هويته بصفة (ثقافي) المستمدة من الثقافة القومية غالبا بتجلياتها المادية وغير المادية، أو المعنوية»[1]

ويعود ظهور النقد الثقافي في أروبا، حسب تقدير بعض الباحثين إلى القرن الثامن عشر. غير أنّ بعض التّغيّرات الحديثة، لاسيما مع مجيء القرن العشرين، أخذت تكسبه سمات محددة على المستويين المعرفي والمنهجي لتفصله من ثم عن غيره من ألوان النقد وبالقدر الذي استدعى الإشارة إليه، مع بداية التسعينات من القرن الماضي، بوصفه لونا

[1] – عبد النبي اصطيف، ما النقد الثقافي؟ ولماذا؟ مجلة فصول، مج، 3/25، ع 99، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ربيع 2017، ص15.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

مستقلا من ألوان البحث[1] يفتح مجالا جديدا للإبداع النقدي الخالي من المديح والإطراء الذي سنته المؤسسات الرسمية.

غير أنّ «المؤرخين يعيدون بدايات الممارسة الحقيقية للدرس الثقافي في الغرب إلى أوائل الستينات الميلادية، على أنّ تعريف مفهوم الثقافة كان أصعب ما واجهته هذه الدراسات وقد دخلت المفردة والمفهوم المعجم الانكليزي في حقبة الثورة الصناعية، وتأرجح مفهوم الثقافة تبعا للعلاقة التي تربطه بفكر معيّن، فإذا كان انتماؤه إلى علم الأنثربولوجيا فإنّه يختلف عمّا إذا انتمى إلى الفكر البنيوي أو ما بعد البنيوي، والثقافة لا تستعصي على التعريف وحسب، وإنّما تجعل التعريف ذاته انعكاسا مؤسسا (...) للبنية الثقافية ذاتها، وهذا شأن الثقافة بوصفها مؤسسة تخصصية تفرز آليات تجعل من ديمومة الثقافة الخاصة أمرا حتميا، ليس مستغربا»[2]، ولعلّ المفهوم الذي قدّمه "إدوارد تايلور" Edward Tylor كان الأساس الذي قامت عليه مختلف البحوث المتعلّقة بالثقافة، وهو الكتاب الذي سهّل الممارسات الثقافية للخطاب، بحصرها في مجالات معينة، يقول "تايلور":« الثقافة هي المركّب الذي يضم المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون والأزياء وكل الملكات الأخرى والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع»[3] ولعلّه التعريف الأكثر شمولية والأكثر إلماما بموضوع الثقافة.

والثقافة كما صرّح "ريموند وليامز" Raymond Williams تعدّ من أكثر الكلمات تعقيدا يقول في كتابه "الكلمات المفاتيح": «هذه كلمة من اثنين أو ثلاث كلمات هي الأعقد في اللغة الانجليزية. يرجع ذلك جزئيا إلى تطورها في التاريخ الشائك

[1]– ينظر، ميجان الرويلي سعد البازعي، دليل الناقد الادبي، ص306.

[2]– ميجان الرويلي سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي ص140.

[3]– طوني بنيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثّقافة والمجتمع، ص 232.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

في عدّة لغات أوروبية لكن السبب الرئيسي هو أنها أصبحت تستعمل لمفاهيم هامة في مجالات ثقافية عديدة وفي نظم تفكير مختلفة بل حتى متضاربة»[1].

وقد كان للدّراسات الثقافية الدّور الفعّال في إرساء دعائم النقد الثقافي فقد سعت "الدّراسات الثقافية" cultural studies "منذ بداية الستينات إلى استجواب منظومة القيم والأعراف السائدة في الثقاقة الغربية ، وقد توصلت بعد البحث العميق في إشكاليات الفكر الغربي إلى أن الثقافة تتأسس في سيرورتها على قانون الاستبعاد و الاستقطاب ، لذا فإن فهم فقه هذا القانون يستوجب تفعيلا لملكة النشاط العقلي لكي يتسنى للناقد الثقافي كشف ممارسات الأنساق الثقافية ونقدها"[2]بعيدا عن أبواق المديح التي عهدتها الممارسات الثقافية داخل المؤسسات المركزية.

يعرّف "آرثر ايزابرغر" Arthur Asa Berger النقد الثقافي بقوله: «هو نشاط، وليس مجالا معرفيا خاصا، بحد ذاته. فنقاد الثقافة، يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافة الشعبية، ومهمة النقد الثقافي مهمة، متداخلة، مترابطة، متجاوزة، متعددة. كما أن نقاد الثقافة، يأتون من مجالات مختلفة، ويستخدمون مفاهيم وأفكار متنوعة. وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل: نظرية الأدب، وعلم الجمال، والنقد، والتفكير الفلسفي، وتحليل الوسائط، والنقد الثقافي الشعبي وبمقدوره أيضا، تفسير نظريات ومجالات: علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية، والنظرية الاجتماعية والأنثروبولوجية ودراسات الاتصال، والبحث في وسائل الإعلام، والوسائل

[1]– ريموند وليامز، الكلمات المفاتيح، معجم ثقافي ومجتمعي، تر: نعيمان عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2005، ص116.

[2]– يوسف عليمات، النسق الثقافي، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، ص 2.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

الأخرى التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة وغير المعاصرة»[1] ولعلّ النقد الثقافي –من هذا المنطلق– خطاب نقدي متجاوز، على وعي بآفاق التحول الاجتماعي، سمحت له مصادره الواسعة بمد جسور المعرفة، بين عناصر الثقافة وبين الخطاب النقدي، وكذا خلق حوار فعال بين مختلف أشكال المعرفة.

وقد عرّفه "عبد الله محمد الغذامي" بالاعتماد على مطارحات "ليتش" Vincent Leitch B. بقوله: «والنقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد فروع اللغة وحقول (الألسنية) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو سواء بسواء. من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجمعي»[2] وكما يبدو فإنّ "الغذامي" حصر تعريفه في زاوية واحدة تنطلق من اللسانيات، وهذا غير مقبول نظرا للطابع الموسوعي الذي يتميز به النقد الثقافي.

ويرى "مصطفى الضبع" بأنّ «النقد الثقافي يمتاز بطابعه التكميلي، بحيث لا يرفض الأشكال النقدية الأخرى، وفي الوقت نفسه يرفض هيمنتها منفردة،...كما يمتاز بصفة (الاكتشاف)، أي اكتشاف جماليات جديدة سواء في النّصوص الأدبية أو في الواقع بوصفه نصا أشمل»[3] لأنّ مهمة النقد الثقافي تكمن في رفع الحجب عن الأنساق الثقافية

[1]– آرثر ايزابرغر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرّئيسية، تر: وفاء ابراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003، ص30، 31.

[2]– عبد الله محمد الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2000 ص 83، 84.

[3]– مصطفي الضبع، مصطفى الضبع، أسئلة النقد الثقافي، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، المنيا 23–26 ديسمبر2003.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

الممررة في الخطابات الأدبية، والتي حالت جمالية اللغة دون كشفها، فالناقد الثقافي يفك الشيفرات مما يدل على قدرته على النفاد إلى ما يختفي وراء النصوص والخطابات، خاصة وأنه يتميز بالدينامية والفاعلية، وذلك ما يؤكده "عبد القادر الرّباعي" من خلال قوله: «إنّ النقد الثقافي يرصد حراك الإنسان وفاعليته في إبداعاته وإنجازاته بتخطيطات ذكيّة، ودوافع عقلية، ومواقف فكرية، ونوازع شعورية متنوّعة ومعقّدة تصدر عنها وتقاس بها جميع اهتمامات الإنسان وعلاقاته وإنجازاته: مادية كانت أم معنوية»[1] وهو ما تقتضيه طبيعة مرحلة ما بعد الحداثة، حيث تبنى النقد الثقافي «دور مساءلة العلوم المنتمية إلى الحقل الاجتماعي وعلوم الإنسان، واستجواب ممارسات النقد الأدبي التقليدية وممارسات النظرية الجمالية ولعب فيها دورا حاسما»[2] مما أتاح للقارئ الانفتاح على عوالم جديدة، لطالما منع الولوج إليها وحتى التفكير في مناقشة قضاياها قبل ظهور النقد الثقافي، حيث تجاوز الثوابت والمقدسات، ولعلّ هذا ما جعله «من أبرز الاتجاهات النقدية المؤثرة في قراءة الخطابات الأدبية والثقافية في مرحلة ما بعد البنيوية»[3] هذه الأخيرة التي أعادت الاعتبار للثقافة الشعبية، والثقافات الدنيا، والمقصي والمهمش، ووضعته جنبا إلى جنب مع المركز المتعالي.

هكذا نتبيّن أنّ النقد الثقافي استفاد من مختلف المناهج التي عرفتها الساحة النقدية، وذلك بفضل تحول النقد العربي من دراسة الجمالي إلى دراسة الثقافي، فمعلوم أن «لا شيء أزعج للفكر النظري من الثبات إزاء المتغيرات الكبرى التي تحتم تغيّرا مماثلا في

[1]– عبد القادر الرّباعي، تحوّلات النّقد الثقافي، دار جرير للنّشر والتوزيع، ط1، 2007، ص15.

[2]– حفناوي بعلي، النقد الثقافي المقارن في الخطاب الأردني الفلسطيني، ط1، عالم الكتب الحديث، عمان 2008.ص201.

[3]– يوسف عليمات، النسق الثقافي، ص165.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

القناعات»[1] ففي البداية كان من الصعب تغيير بعض القناعات على مستوى الخطاب الأدبي والنقدي، لكن سرعان ما التحق النقاد بركب النقد الثقافي وذلك بعد نجاحهم في تجاوز بعض المعايير النقدية التي عفا عنها الزمن، واستبدالها بمعايير جديدة تتماشى ومتطلبات المرحلة التي نعيشها، تسمح بمساءلة النصوص والخطابات مساءلة واعية وتقديم آراء جريئة من شأنها المساهمة في تغيير المجتمع تغييرا إيجابيا «وقد كشف النقد الثقافي زيف الكثير من الفرضيات المسبقة وهشاشة أسسها، ومسلماتها غير المنقودة، فأصبحنا أشدّ وعيا بدور الثقافة، أي النظام الدلالي في تكوين معرفتنا، بل حتى الكيفية التي بها تتشكل أحاسيسنا وعواطفنا، إنّ سبل فهمنا النصوص ونشاطنا التفسيري، بل وتقييمنا للحس الذوقي والعاطفي أثناء الفهم والتفسير، بل سبل تحدها وتحددها سياقات المؤسسة الثقافية، والتاريخ والعلاقات بعالم الفن، والخيال والأفكار»[2]ويعود ذلك إلى إحاطة الثقافة بكل جوانب الحياة.

وهكذا خرج النقد عن المألوف واتجه إلى اهتمامات جديدة، حيث تمرّد على الفكر التقليدي السائد الذي تميّز باحترام التخصص والدّقة في معالجة الظواهر الأدبية، ودعا الجيل الجديد من النقاد إلى ضرورة الإلمام بكل المناهج واعتماد الكلية كمنطلق جديد يقوم على أساسه كل فكر نقدي. فخرج النقد عن الإطار النخبوي ودخل في إطار الهامش وكانت تلك من مقتضيات تلك الفترة التي ظهر فيها هذا النوع الجديد من

[1]– محمد جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، الكتابة العربية في عالم متغيّر واقعها سياقاتها وبناها الشعورية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2005 ص7.

[2]– حفناوي بعلي، النقد الثقافي المقارن في الخطاب الأردني الفلسطيني، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان، 2008، ص201.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

النقد والذي اتفق الدارسون على أن ظهوره كان متزامنا مع ظهور ما يسمى بالدراسات الثقافية، بل ويؤكّدون أنّ هذه الدراسات مهدّت لظهوره وعبّدت الطريق أمام المنظّرين في مجال الدرس الثقافي.

وتجدر الإشارة إلى إنّ النقد الثقافي «لا يدور حول الفن والأدب، فحسب، وإنّما حول دور الثقافة في نظام الأشياء بين الجوانب الجمالية، والأنثربولوجية بوصفه دورا يتنامى في أهميته ليس لما يكشفه من الجوانب السياسية والاجتماعية فحسب، بل لأنه يشكل الأنظمة والأنساق، والقيم والرموز، ويصوغ وعيها بها، وهنا تتبدّى علاقته الأنثربولوجية الرمزية المقارنة التي كانت في بداياتها تعنى بما هو بدائي وغرائبي ثمّ انكمش هذا الدّور التقليدي وتمّ بناء أنموذج جديد يسمح بمقاربة أوضاع خصوصية ومحددة غذّت الكثير من الخطابات الرمزية حوا الأصالة والحداثة»[1]، وقد كانت الأنثربولوجيا من بين أهم البحوث التي أسهمت في تحوّل مسار الحركة النقدية من شقّها الأدبي إلى شقّها الثقافي.

وإذا كان العداء منصوبا بين كل من المناهج السياقية و المناهج النسقية، فإنّ النقد الثقافي استطاع أن يزاوج بينهما مشكلا بذلك تخصصا نقديا مستقل بذاته، إذ أخد «يسير باتجاه رسم ملامح مستقلة لنفسه، بعد أن كان يقع في دائرة الأبحاث الفكرية، في مقابلا (النقد الأدبي)، حيث يتّجه النقد الأدبي –كما يفترض– إلى مساءلة النص بعيدا عن الخارج. وهكذا يسير النقد الثقافي باتجاه الخارج، مستفيدا من العلوم الإنسانية، مع تأكيده المعلن على أنّه يقرأ النص من الداخل كخطوة أولى، لكن لا بدّ من توظيف الخارج لتنوير النص. وهنا تقع الإشكالية، أي إلى أيّ حدّ يمكن للناقد أن يتوسّع نحو

[1] – بشرى فالح، بويطيقا الثقافة، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2012ص33.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

الخارج»[1] وبما إنّ النقد الثقافي يساءل الثقافة فإنه بإمكاننا القول أنّ الناقد بإمكانه التوسع خارج النص وفق ما تسمح به الثقافة من انتشار معرفي.

وقد "كتب أدورنو Theodor W. Adorno مقالته "النقد الثقافي والمجتمع" عام 1949 عندما كان مقيما في أمريكا. وما يعنيه أدورنو بمصطلح "النقد الثقافي" يحل محل التناول التقليدي للأدب الذي هاجمه. و لم يكن أدورنو، على عكس لوفنتال، مستعدا ليستبدل بهذا التناول للأدب مجرّد تناول يعتمد سوسيولوجيا مادية. فقد رأى هذا "النقد المتعالي" خاصة في افتراضه مدخلا موضوعيا للمجتمع– إشكاليا تماما مثل "النقد المحايث" الذي هو من سمات النقد الثقافي. وهكذا صاغ أدورنو مقالته بحيث تكشف التوتر داخل كل من هذين النوعين من النقد كما تكشف التوتر القائم بينهما"[2]. وتعدّ المقالة التي كتبها أدورنو والتي جاءت بعنوان "النقد الثقافي والمجتمع" بمثابة الأكسجين الذي يتغذى عليه هذا النقد، حيث أشار "ميجان الرويلي" و"سعد البازعي" إلى أنه ففي مفتتح مقالته يشير "أدورنو" (إلى توجه النقد الثقافي إلى نقد الحضارة الغربية، ثم يؤكد تناقض هذا النقد لأن الناقد جزء مما ينتقد (الناقد الثقافي غير راض عن الحضارة التي يدين لها بعدم ارتياحه، إنه يتحدث كما لو كان ينتمي إلى طبيعة لم يصبها الدنس، أو إلى مرحلة تاريخية أرقى، مع أنه ينتمي إلى الجوهر الذي يتخيل نفسه متجاوزا له)[3] لكنّ انتماء الناقد

[1]– عز الدين المناصرة، ادوارد سعيد والنقد الثقافي، مجلة فصول للنقد، ع 64، الهيئة المصرية العامة للكتاب، صيف 2004، ص127.

[2]– أندرو إدجار، أدورنو ومدرسة فرانكفورت المبكرة، موسوعة كمبريج للنقد، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005 ع919، مج 9، ص184.

[3]– ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 307.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

إلى الحضارة التي يقوم بنقدها لا يوقعه في التناقض في اعتقادنا لأنه بصدد محاولة تقييم هذه الحضارة، قصد محاولة تقويمها وليس بهدف تجاوزها نحو اللامعقول.

وبعد أعوام قليلة من نشره لتلك المقالة و«في منتصف الخمسينات من القرن العشرين نشر "ثيودور أدورنو" كتابا بعنوان "نظرات"، وكان ذلك أول الكتب الأربعة التي نشرها عن موضوع "النقد الثقافي والمجتمع"، وكانت هذه العبارة هي العنوان الفرعي للكتاب وكذلك عنوان المقالة التمهيدية التي تعرض برنامجه»[1]. وقد لوحظ أنّ "أدورنو" غالبا ما يربط الآثار الأدبية في علاقتها بالمجتمع خاصة بالنسبة للدور التنويري الذي يمكن لهذا الأثر القيام به، حيث «يفسّر ما كتبه عن النقد الثقافي الزعم بأنّ العمل الأدبي يتضمن معرفة في ضوء إمكانية قيام العمل الأدبي بالإفصاح عن الوساطة الاجتماعية وكشفها»[2] فقد كان العمل بمثابة نقد اجتماعي سلّط أدورنو الضوء من خلاله على الثقافة كواقع يمكن تشريحه.

وإذا كان ظهور النقد الثقافي في سنوات الستينات، وكان تطوره في أوجّه في السبعينات فإنّ البداية الحقيقية والممارسة الفعلية له كانت في الثمانينات، تحديدا مع ظهور مجلة متخصصة في المجال الثقافي والتي حملت عنوان "النقد الثقافي"، وكانت تصدر عن جامعة "مينوسيتا" في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد شكلت هذه المجلة «الأرضية العريضة للتفسير الثقافي والتي تحدد حاليا بالتقاء الدراسات الأدبية والفلسفية

[1]– ريتشارد وولين، مقولات النقد الثقافي: مدرسة فرانكفورث، الوجودية، ما بعد البنيوية، تر: محمد عناني، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2016، ص11.

[2]– أندرو إدجار، أدورنو ومدرسة فرانكفورت المبكرة، ص184.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

والأنثربولوجية والاجتماعية»[1].وقد اعتبر القائمون على تحرير تلك المجلّة (من مثل فريدريك جيمسون وهيدن هوايت، بول بوفي ونعوم تشومسكي وادوارد سعيد، تيري إيجلتون وريموند ويليامز ، والرائدتين في مجال النسائيات أليس جاردين وجاياتري سبيفاك) أنّ «الهدف من النقد الثقافي يكمن في التعبير عنه بأقصى قدر من الشمولية على أنّه دراسة القيم والمؤسسات والممارسات والخطابات الموروثة في إطار أصولها وتكوينها وآثارها السياسية والاجتماعية والجمالية»[2].

وبعد أدورنو ظهرت كتابات شتّى في ميدان النقد الثقافي لكن أبرزها كان «كتاب "يورغن هابرماس" المعنون بـــ "المحافظون الجدد: النقد الثقافي والخطاب التاريخي" ولكن هابرماس لم يخرج عن الإطار الذي وضعه أدورنو في مقالته "النقد الثقافي والمجتمع"، كما تعدّ الدراسة التي قدّمها الناقد الأمريكي "هيدن وايت" والمعنونة بـــ "بلاغيات الخطاب: مقالات في النقد الثقافي" من أهم الدراسات التي يعتدّ بها في هذا المجال "فقد أشار وايت إلى أنّ الخطابات الموظفة في العلوم الإنسانية تقوم على بلاغيات لا تختلف كثيرا عما يعتمد عليه الأدب وواضح أنّه اعتبر تحليله لذلك التداخل الخطابي نوعا من النقد الثقافي»[3] لكنّ كل تلك الأعمال كانت تفتقد للترابط المنهجي بين الموضوع والمصطلح –كما أكد ميجان الرويلي وسعد البازعي– غير «أنّ العمل الأكثر اتصالا بالموضوع من الناحية المنهجية والاصطلاحية جاء في جزأين عنوان الأول منهما: كلاسيكيات النقد الثقافي 1990، وفي مقدمة ذلك الجزء يشير المحرر إلى أنّ النقد الثقافي

[1]– فنسنت ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينات، تر: محمد يحي، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص410.

[2]– فنسينت ليتش، المرجع السابق، ص.41

[3]– ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص307.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

في بريطانيا، الذي يعود إلى القرن الثامن عشر، تطور مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ليتصل بالنشاط الاستعماري للإمبراطورية البريطانية: «لقد ادّعى [أي النقد الثقافي] لنفسه مسؤولية تشكيل ثقافة قومية عامة على نحو شكل نقطة إحالة مرجعية للتنافس الاستعماري حوالي 1900 وما بعدها»[1]، وهذا ما يعكس ثقافة التعالي التي تميّز المجتمعات الأوروبية، وهنا يبرز الطابع السياسي الذي يتميّز به خطاب النقد الثقافي، وهذا ليس بالأمر الغريب فهذا الخطاب ينتمي إلى ما بعد الحداثة، و«المابعد حداثي"لا يقدر أن يكون إلّا سياسيا"»[2] على حدّ تعبير الناقدة "ليندا هتشيون"، وإذا سلمنا بهذه المقولة فإننا سندخل الأدب السياسي في إطار الخطاب النقدي الثقافي، هذا الأدب الذي يتميّز بقدرته على حمل الغث والسمين من الأفكار التي تنبع عن مختلف الأحزاب والتيارات المعادية للأنظمة السياسية الحاكمة.

ويعدّ "ليتش" أول من صاغ نظرية النقد الثقافي وذلك من خلال كتابه "ما بعد البنيوية: النظرية الأدبية والنقد الثقافي"، حيث ركّز فيه على الأدب في علاقته بالنقد الثقافي يقول: (إنّ الأدب بالنسبة للنقد الثقافي "مصطلح وظائفي متغيّر")، كما أنّه (تشكيل اجتماع–تاريخي)[3]، ويعود ليتش سنة 2003 إلى هذا الإيضاح: أن «النظرية» في سياقها المعاصر تحيل إلى كيان من النصوص، قديمة وحديثة، معنية بالشعرية،[التعليق على النص]، ونماذجه الثقافية، ويقترح أن نضيف إلى هذه القائمة: السيميائيات ووسائل

[1]– المرجع نفسه، ص307.

[2]– ليندا هتشيون، سياسة ما بعد الحداثية، تر: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ط1، سبتمبر 2009، ص13.

[3]– محمد جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، ص 19

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

الاتصال والخطاب، والشفرات الخاصة بالعنصر والطبقة والجنوسة، وبالثقافة المرئية والشعبية»[1].

وانطلاقا مما قدّمه "ليتش" نستطيع أن نتبيّن خصائص النقد الثقافي، لكن من الضروري أن نشير إلى إنّ "ليتش" يهتم بالنقد الثقافي في إطار ما بعد البنيوية وكذا ضمن طروحات النقد الجديد فقط، ويمكن إيجاز تلك الخصائص فيما يلي[2]:

– لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب حساب المؤسسة.

– من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل المعرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي.

– تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي، كما هي لدى بارث، وديريدا، وفوكو خاصة مقولة "ديريدا" أن لا شيء خارج النص، وهي مقولة يصفها "ليتش" بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي المابعد بنيوي، ومعها مفاتيح التشريح النصوصي كما عند بارت، وحفريات فوكو.

وتجدر الإشارة إلى إنّ إلمام النقد الثقافي بمختلف الاتجاهات والمناهج كان الهدف من ورائه «الوصول إلى أكبر قدر ممكن من التعمّق في التحليل، ومحاولة ربط هذه الأفكار بمشكلات التغيير الاجتماعي والثقافي في العالم المعاصر وقضاياه مع الأخذ في الاعتبار، في كثير من الأحيان، متطلبات المستقبل وفي الوقت نفسه عدم إغفال البعد التاريخي فيما يعرف باسم (جينالوجيا الثقافة) Genaealogy of culture كما تتمثل

[1] – محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي،، ص 20.

[2] – عبد الله محمد الغذامي، النقد الثقافي، ص32.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

في تفكير نيتشه ثم في أعمال ميشيل فوكو ومن بعدهما بعض مفكّري ما بعد الحداثة من أمثال جان بودريار وفرانسوا ليوتار..»[1] ومن سار على دربهم، حيث اهتموا بمناقشة القضايا الاجتماعية الحساسة، التي أثرت على المجتمعات العالمية والتي كان الخوض فيها ممنوعا: كالاهتمام بعادات الشعوب البدائية، والأمراض الحديثة، وقضايا المرأة، محاولين بذلك خلق عالم مختلف عن العالم القديم الذي أنهكته الحروب والصراعات الطائفية.

لكن بالرغم من الطابع الشمولي الذي يعدّ خاصية أساسية تميّز النقد الثقافي إلّا إنّ أدورنو «يشير إلى تناقض داخل مفهوم "الناقد الثقافي"، فالشخص الذي يبدو ناقدا للثقافة، هو أيضا، كما يكشف هذا التفسير التاريخي ومفهوم الوساطة، نتاج لتلك الثقافة، قد يفهم، التناقض على أنه ذلك التناقض بين العمل الفني ذاته الذي يقيّمه الناقد وبين المجال الثقافي العام الذي يمدّ الناقد بالمعايير القيمية. إذا أخذنا في الاعتبار التشيّؤ الذي يتسم به المجتمع المعاصر (والذي به تعيد الأفكار جميعا إنتاج العقلانية الاقتصادية)، فالناقد، بافتراضه نسقا موضوعيا يمكنه من الحكم على أعمال بعينها لمعايير يفترض بسذاجة أنها عامة وكونية، فإنه يضع تلك الأعمال داخل النظام الاقتصادي تماما كما يفعل عالم الاجتماع الثقافي (أو المدافع عن الواقعية السوفييتية)»[2]. ولا يتعلّق الأمر بالمفهوم فقط بل يتعدّاه إلى المصطلح، ولا يتحدّث عن أي مجتمع وإنّما يخصّ المجتمع الألماني، ومعلوم أنّ ألمانيا هي الحاضن الأول لهذا النقد في رحاب مدرسة فرانكفورت، كما أنّ المنهج الغالب والمتبع هناك هو منهج الاقتصاد السياسي «فعلى سبيل المثال نرى

[1]– مجموعة من المؤلفين، التحليل الثقافي، تر: فاروق أحمد مصطفى وآخرون، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009، ص8.

[2]– إندرو إدجار، أدورنو ومدرسة فرانكفورت المبكّرة، تر: عزة مازن، موسوعة في النقد، ع9، ص184، 185.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

أنّ أدورنو يجد أنّ مصطلح "النقد الثقافي" نفسه يتضمّن إشكالية أساسية. ويرجع ارتيابه فيه إلى خصائص السياق الألماني حيث نجد في الصورة الألمانية لهذا المصطلح Kulturkritik أصداء لقيم الموظّفين المهنيين، أو قيم "الإنسان غير السياسي" الذي وصفه توماس مان (Man) في المقال الذي نشره عام 1916»[1] والذي كان يهدف إلى إعادة إنسانية الإنسان الذي أفقدته إياها الصناعات التقنية الحديثة.

وهنا نستطيع أن نتبيّن أنّ المصطلح يعاني من عدم الدّقة حتى في بيئته المنتجة وليس فقط في الساحة العربية التي تلقفته، وكون الناقد جزء من الثقافة التي ينقدها فإنّه بصدد ممارسة ما يعرف بالنقد الحضاري في الوقت ذاته، لأنّ الناقد ليس بصدد نقد الأنساق المهيمنة على الخطابات فقط، بل بصدد نقد التطورات والأحداث التي تشهدها المجتمعات أيضا.

ثالثا: النقد الحضاري:

النقد الحضاري هو مصطلح ظهر أوّل مرة مع الناقد الفلسطيني "هشام شرابي" في كتاب له بالعنوان نفسه، والذي رصد من خلاله آراء مختلف المثقفين والمفكّرين الذين حملوا على عاتقهم هموم الوطن العربي، كما قام بتحليل واستقراء أفكار النّقاد الذين مارسوا النّقد الحضاري حسب رأيه من أمثال: محمد عابد الجابري، هشام جعيط وغيرهم، أي أنه النقد الذي يحاول الإجابة عن السؤال الذي شكل هاجسا عند المفكرين العرب خاصة مع تفاقم الأزمات في المجتمعات العربية؛ لماذا تأخّر العرب وتقدّم غيرهم؟

وإذا جاء المصطلح مع "هشام شرابي" فذلك لا يعني أنه الوحيد الذي مارس النقد على مستوى الحضارة، فالنقد الحضاري «هو نشاط عقلاني يهتم بتحليل التغيرات والتحولات التي تطرأ على مفاهيم الخطاب وقضاياه وأحداثه وإشكالياته، ويستعيد

[1]– ريتشارد وولين، مقولات في النقد الثقافي، ص11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

خلاصات الفكر الإنساني لإعادة فهم الحدث في الخطاب من منظور حضاري»[1] فالحضارة إذن هي المعيار الذي ينبغي أن يخضع له التحليل حتى يتسنى للباحث النجاح في عملية القراءة وكذا إعادة مناقشة القضايا بطرق مختلفة عن سابقاتها.

وبالرّغم من أنّ الأفكار التي قدّمها المفكّرون كانت تهدف إلى تحسين الظروف الاجتماعية والسياسية في المجتمعات العربية إلاّ «إن النقد الحضاري لا يستطيع بحد ذاته تحقيق أي شيء على صعيد الممارسة المباشرة لكنه يسلط الضوء على الواقع وتاريخه ويكشف عن حقيقته الظاهرة والخفية ويخطط أساليب ومتطلبات تجاوزه راسما الخريطة الفكرية التي تضيء سبل الفكر والممارسة معا. بهذا فإن النقد الحضاري يشكل الشرط الأساسي لعملية التغيير الاجتماعي وهو الخطوة الأولى لأية حركة اجتماعية جدية ترمي إلى استئصال الأبوية من مجتمعنا وإلى السير به نحو مستقبل آخر يقرره أبناءه المتسلطون عليه أو القلة المنتفعة به»[2]. والأبوية هنا مصطلح يرمز إلى الأفكار البدائية والبدع والخرافات والعادات البالية التي تفرض سلطتها على المجتمع وتقف في طريق نموّه، وليس إلى سلطة الأب داخل الأسرة، إنّه يرمز إلى ضرورة التمرّد على كل ما من شأنه أن يعيد الفكر إلى الخلف، إنّ «النقد الحضاري هو نقد الأفكار الثابتة التي تعيق حركة الفكر والتاريخ، و لم تفسح المجال أمام حركة العقل لكتابة تاريخ جديد ومتألق للفكر، فالأفكار المتشائمة تعوق دائما حركة التقدم والارتقاء الحضاريين؛ لأنها تعمل ضدّ المستقبل،

[1]– عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب، تحولات السؤال النقدي من المقتضى اللغوي إلى الرهان الحضاري، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2017، ص 33.

[2]– هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة، دط، دت، بيروت، ص11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

وتتضمن عدم الاعتراف بالنقلات والتحولات الحضارية، وتسعى في ممارساتها إلى إيقاف حركة التاريخ عند مرحلة فكرية معينة، ثم العمل على إعادة إنتاجها في العصور التالية؛ وذلك بالاعتماد على خطاب فكري، ومساندة من المؤسسة الثقافية والايديولوجيات السائدة»[1].

ويرى "هشام شرابي" أنّ «مهمّة النقد الحضاري تتعدّى نقد الفكر المجرّد ونظرياته وتهدف إلى كسر الدائرة المفرغة التي عاشها المجتمع العربي في المائة سنة الأخيرة، تناقضا مستمرا بين القول والعمل وحالة مميتة من العجز والشلل»[2]. ونعتقد أنه واعتمادا على ما جاء في "النقد الحضاري" لهشام شرابي" استطاع الباحث "أحمد بوقرى" أن يبيّن هدف النقد الحضاري والذي يتمثّل حسب رأيه في« بلورة مفاهيم وصيغ فكرية تخلخل الخطاب السائد الذي يحجب الواقع ويموّه حقيقته ويقيم بوجهه خطابا مضادا يكشف حقيقته ويحدد طرق ووسائل تغييره»[3] وهنا تكمن أهميته الكبيرة في الخطاب النقدي العربي، والتي «تتمثل في إنقاذ السؤال النقدي من جميع ثنائياته التي اشتغل عليها، ويضعنا أمام غنى الوعي المتعالي في الكشف عن تحوّلات الفكر في الخطاب، والكشف عن أسباب التقدم والتراجع، عن قدرة الخطاب النقدي على تجاوز الفكر الأحادي؛ لأنه نقد يخضع تجربة المفهوم في الخطاب الإبداعي للوعي الإنساني؛ وذلك لتجديد المعنى القبْلي للمفهوم، فيغدو لكل مفهوم مفاجآته في تشكل المعنى، يغيّر شكل العالم من قدمه إلى

[1]– عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب، ص 54، 55.

[2]– هشام شرابي، النقد الحضاري، ص 93.

[3]– أحمد بوقرى، السيف والنّدى : ممارسات في النقد الحضاري، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدّمام 2010.ص78.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

تحضره وارتقائه»[1] ومنه يتضح أنّ النقد الحضاري يسعى إلى التغيير بالدرجة الأولى، وينطلق في عملية التغيير من الخطاب السائد فيعيد قراءته، ويعيد تشكيله وبناءه، بالأحرى يقوم بتفكيكه ويعيد كتابته بالشكل الذي يتماشى مع متطلبات عصره.

واعتمادا على المفهوم الذي قدّمه "شرابي" يمكننا أن نكتشف وجود هذا النمط من النقد عند "مالك بن نبي" حيث مارس النقد الحضاري بكلّ مقاييسه، وكان العنوان الرئيسي لكلّ مؤلّفاته والتي تتجاوز العشرين "مشكلات الحضارة" وكانت في مجملها – وبغض النظر عن عناوينها الثانوية– لا تخرج عن إطار التعطّش إلى الحضارة، وذلك لأنّه كان حريصا على مستقبل الأمّة العربية، وكان "مالك بن نبي" على وعي تام بالأزمة العربية التي مسّت كلّ المجالات، ورغبة منه في تحسين الأوضاع قام بتحليل الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ووقف على الظواهر الايجابية والسلبية وتناول الأشياء في كنهها لا في مظهرها وقدّم مجموعة من الحلول التي رأى فيها الخير العميم، حيث جعل من الإنسان والتراب والوقت شروطا أساسية للالتحاق بالرّكب الحضاري، وتفاءل كثيرا في تغيير المجتمع العربي نحو الأحسن، فترك رصيدا معرفيا يشكّل منهجا قويما يستطيع كلّ غيور على الأمّة الإسلامية أن يسير وفقه آمنا لأنّه يقوم على الفكرة الدينية الخالصة البعيدة عن التيارات والأحزاب التي تدعو إلى التشدد وتفسر الدّين الإسلامي تفسيرا سلبيا.

وقد كتب مالك بن نبي في بداية كتابه "شروط النّهضة" أغنية رمزية وهي عبارة عن كلمات تدعو إلى التفاؤل والعمل الجاد قصد تكوين مجتمع متحضّر يقول مثلا:

- ابذر يا أخي الزارع، من أجل أن تذهب بذورك بعيدا عن حقلك، في الخطوط التي تتناءى عنك... في عمق المستقبل.

[1]– عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب، ص36.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

- ها هي بعض الأصوات تهتف. الأصوات التي أيقضتها خطواتك في المدينة، وأنت منقلب في كفاحك الصباحي. وهؤلاء الذين استيقظوا بدورهم، سيلتئم شملهم معك بعد حين.
- غنّ يا أخي الزارع. لكي تهدي بصوتك هذه الخطوات التي جاءت في عتمة الفجر، نحو الخط الذي يأتي من بعيد.
- وليدوّ غناؤك البهيج. كما دوّى من قبل غناء الأنبياء، في فجر آخر، في الساعات التي ولدت فيها الحضارات[1]. وهذه الأغنية الرّمزية في الواقع هي نداء إلى كلّ فرد عربي بالعمل الصالح والجاد من أجل تحقيق نتائج تعود على الأمّة بالخير.

وقد وضع "مالك بن نبي" مخططا من خلال مشروعه ويتمثل في: ناتج حضاري= إنسان+تراب+وقت[2]، هذه الثلاثية هي جوهر فكر مالك بن نبي الذي حاول من خلاله بناء حضارة جديدة، وهي الشروط الأساسية التي قرّها "مالك بن نبي" لقيام حضارة ما فهي تقتصر على " الإنسان " "التراب" و "الوقت" وفي هذا السياق يعرّف الحضارة بقوله: «الحضارة هي مجموعة الشروط المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع معيّن أن يقدّم لكلّ فرد من أفراده، في كلّ طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموّه »[3] فالفرد الذي يعيش خارج إطار الحضارة يعتبر وجوده هامشيا.

[1]– مالك بن نبي، شروط النّهضة، تر: عمر مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنّشر، دمشق، ص17

[2]– مالك بن نبي، شروط النهضة، ص41.

[3]– مالك بن نبي، القضايا الكبرى، إشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، ط1، 1991.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

ويرى "مالك بن نبي" بضرورة تكوين أفراد مختصين في السير بالركب الحضاري نحو الأمام يقول: "يجب أن نصنع أولا أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى"[1] ولعلّ التعليم هو أول ما يمكن الاعتماد عليه في ذلك لأن ضمان تعليم حسن للأفراد كفيل بصنع الحضارة التي يحلم بتحقيقها كل فرد في المجتمع العربي.

من خلال الاطلاع على الممارسة النقدية الحضارية عند "مالك بن نبي" نتبيّن أنّ هذا «النقد للحضارة ليس دعوة لرفضها، فالحضارة لا يمكن رفضها حتى لو رغبنا في ذلك، إنما الشيء الوحيد الضروري والممكن هو أن نحطّم الأسطورة التي تحيط بها. فإنّ تحطيم هذه الأسطورة يزيد من أنسنة هذا العالم وهي مهمّة تنتمي بطبيعتها إلى الثقافة»[2] فلا بدّ من استعادة الثقة بالنفس التي فقدتها المجتمعات العربية، وذلك من أجل القضاء على فكرة أنّ الآخر أفضل، وأنه يمثل القوة والغلبة ونحن نمثل الضعف، إنّ البناء الحضاري ينطلق من استعادة ذاتنا ومواجهة الآخر بكل ثقة.

وفي خضم التطور الذي تشهده الحضارة لا بدّ أن نشير إلى أنّ «التقدم الحضاري يتطلب إعادة النظر في المنجز المعرفي للحضارة؛ ليس لأنّ حقائق وأفكارا كثيرة قد اكتشفت على مر الأيام، ولكن لظهور وجهات نظر عديدة ومختلفة تلوح في أفق البحث العلمي من حين لآخر...قادرة على إعادة تأمل العالم وفهمه في سياق معرفي مختلف»[3] يتميّز بالتمرّد والمغايرة، ولعلّ التركيز على المنجز المعرفي للحضارة ينبع من كون المعرفة

[1]– المرجع نفسه، ص75.

[2]– علي عزّت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، تر: محمد عدس، ط1، مؤسسة العلم الحديث، 1414هـ، 1994م. ص 133.

[3]– عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب ص21.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

هي القوة التي تنبني عليها كلّ حضارة، فالحضارة لها متطلبات كثيرة يمكن اختزالها في ما حققته المعرفة من تطور.

ويرى "ميجان الرويلي" و"سعد البازعي" أنّ ما دعا إليه "هشام شرابي" من نقد حضاري، وما دعا إليه ناقد مثل شكري عيّاد من نقد حضاري أيضا، وما قدّمه ناقد مثل عبد الوهاب المسيري في مجال التّحيّز كلّ ذلك يندرج في إطار النّقد الثقافي[1]. من هذا المنطلق يبدو أنّ النقد الحضاري هو نفسه النقد الثقافي على الأقل بالنّسبة إلى ميجان الرويلي وسعد البازعي، لكننا نعلم أنّ الثقافة تتميّز بالثبات بينما الحضارة متغيّرة متطورة وعليه فإنّ النقد الثقافي يعالج الثوابت أما النقد الحضاري فيحرص على مواكبة التغيّر الحضاري.

هناك قواسم مشتركة كثيرة بين المصطلحين، فمثلا إذا «كان النقد الثقافي يهدف إلى الكشف عن الأنساق الثقافية في الخطاب، فإنّ النقد الحضاري يناقش أسباب التقدم والتراجع الحضاري في الخطاب؛ وذلك من خلال البحث في ماهية موضوعات الخطاب وطبيعتها، وأسباب حضورها على نحو ما في الخطاب، ومن ثمة إفساح المجال أمام الاعتبارات التاريخية والمادية والجمالية، لدراسة موضوعات الخطاب»[2] إنّ كل من النقد الثقافي والحضاري يعالجان نفس القضايا ولكنّ الطرق والوسائل تختلف.

وإذا كان النقد الثقافي يدعو إلى القضاء على الأيديولوجيات فإنّ «النقد الحضاري يؤذن بخسوف الايديولوجيات وإشراق فكر حضاري جديد، فالأدب ليس تراكما من الاندفاعات الإبداعية الملتزمة والقوانين الشكلية فحسب، بل هو أيضا نسيج من علاقات المفاوضة بين الوعي والواقع، بين حيّز المفهوم بمرجعياته الايديولوجية (الخبرة

[1] – ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص309.
[2] –عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب ص23.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

الثقافية او المعرفية أو الجمالية للمفهوم) ومجال الخطاب باستعاراته الحضارية وانفتاحه على مرجعيات متنوعة»[1] وهذه نقطة أخرى يشترك فيها النقد الثقافي والنقد الحضاري حلى حد سواء.

ويبرز التداخل أكثر في مهمة أخرى يشتركان فيها، وهي التعامل مع الأنساق داخل الخطاب، حيث «يمتلك النقد الحضاري مهارة غزو الخطاب ونقد مفاهيمه وأنساقه بما لها من قدرة على تزييف الوعي، ويؤدي دورا تقدميا نحو الكشف عن الفرق بين الوعي الزائف والوعي الحقيقي المتعالي؛ ومن ثمة يتحول الخطاب النقدي من مجرد خطاب يهتم بأدبية الخطاب، وبلاغيته، ولسانياته..إلى قوة فكرية تسعى إلى تحرير الإنسان من سيطرة الأنساق الثقافية وحرّاسها من أهل الحلّ والعقد، وكشف زيفها وعدم صلاحيتها لكلّ العصور»[2]وهذه المهمة التي أوكلت للنقد الحضاري هي مهمة أساسية للنقد الثقافي أيضا.

لقد سبق وأشرنا إلى الطابع الشمولي الذي يتسم به النقد الثقافي، وهو الطابع الذي لا يمكن عدم ملاحظته في النقد الحضاري، حيث نجد هذا الأخير ملم بدراسة سلوكيات الإنسان داخل المجتمع ومهتم بدراسة الصلة بين الإنسان وحضارته، أي بين الحضارة وصانع الحضارة، وعليه يمكن التأكيد بأنّ النقد الحضاري «لا يقتصر على وصف قضايا الخطاب ودراستها فحسب، بل ينظر إلى الحضارة بوصفها جزء لا يتجزّأ من الوعي الإنساني؛ ومن ثمة يبحث عن أوجه الشبه والاختلاف بين مظاهر الثقافة الخارجية، ووعي الإنسان بهذه المظاهر وطرائق تعبيره عنها في خطابه الإبداعي»[3] وكل

[1]– عبد الفتاح أحمد يوسف، نفسه، ص 34.
[2]– عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب، ص 35.
[3]– عبد الفتاح أحمد يوسف، نفسه، ص 20.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

هذا هو نتيجة تفاعل بين الفكر الإنساني والممارسة النقدية في إطار الثقافة، واستثمار الجهود النقدية لتحقيق التغيير الاجتماعي.

ومن أجل الوصول إلى كنه التّداخل الموجود بين المصطلحين، ارتأينا أن نقدّم مفاهيم كل من الثقافة الحضارة والوقوف على التداخل بينها لأنّ كلّ مصطلح يستمدّ ميزاته من المجال الذي يدرسه، فهل التداخل بين النقد الثقافي والنقد الحضاري مستمد من التداخل الموجود بين الثقافة والحضارة؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه فيما يلي.

– مفهوم الثقافة:

حظي مصطلح " ثقافة" باهتمام يكاد يكون مفرطا من قبل المفكّرين والعلماء لأنّه يعدّ في حدّ ذاته إشكالية أقّضت فكرهم، فهي كلمة في غاية التعقيد، وقد بيّن "رايموند وليامز" مدى انزعاجه من الاستعمالات العديدة لهذه الكلمة قائلا: "لا أعرف كم مرة تمنّيت لو أنّني لم أسمع بهذه الكلمة اللّعينة"

لغة: ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة، حذقه، وثقف وثقف وثقف حاذق فهِمٌ ... ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم[1].

–اصطلاحا: كلمة «"ثقافة culure"من ناحية الأصل اللغوي مرتبطة بكلمة "cult "عبادة وهي باللاتينية "cultus " وهما ذو أصل مشترك في الكلمة الهندوأروبية"[2] . وقد انتقلت هذه اللفظة من الفرنسية إلى الألمانية بمعناها هذا في أواخر القرن الثامن عشر بشكل culture ثمّ kulture. وأخذ هذا المعنى يتطور عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمؤرخين، ويبتعد عن دلالات الإنماء أو التحسين الفردي، ويتحول إلى

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة "ثقف"، منشورات محمّد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص492.

[2]– علي عزّت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ص 94.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

أحوال الأقوام بمجموعها « وغدت هذه اللفظة تطلق على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات»[1] وهذا هو أصل المعنى الاصطلاحي الذي تحتوي عليه كلمة culture اليوم عند علماء الاجتماع والأنتربولوجيا.

والتعريف الذي قدّمه تايلور عن الثّقافة –الذي أشرنا إليه في البداية– يعدّ النموذج، بل والمنبع الذي استقى منه معظم العلماء كلّ المفاهيم التي قدّموها حول الثّقافة، فكلّ المفاهيم لا تخرج عن إطاره ومهما حاولت الخروج عنه فإنّها تلجأ إليه في النّهاية، ويعرفها "مالك بن نبي": «فالثقافة هي تلك الكتلة نفسها، بما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة وأذواق متناسبة. وعواطف متشابهة. وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة. ويحدد قطبيها: من عقلية ابن خلدون. وروحانية الغزالي. أو عقلية ديكارت. وروحانية جان دارك. هذا هو معنى الثقافة في التاريخ»[2]

–مفهوم الحضارة:

لغة: الحضارة: الحضور نقيض المغيب والغيبة، حضر يحضر حضورا وحِضارةٌ، والحضر نقيض خلاف البدو.

والحِضارةُ: الإقامة في الحضر، وكان الأصمعي يقول: الحضارَة بالفتح.[3]

أما في اللغة الفرنسية «ظهرت كلمة "Civilization" بالفرنسيّة سنة 1734، وأصلها واضح : فهي تنحدر مباشرة من صفة Civilisé (متحضِّر) في القرن السابع

[1]– حسن اسماعيل، الدلالات الحضارية في لغة المقدّمة عند ابن خلدون، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2007، ص 37.

[2]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ص77.

[3]– لسان العرب، مادة "حضر" ص609.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

عشر»[1] كلمة حضارة civilisation فمتصلة بكلمة civis وطن أم مواطن »[2]

وأقدم تعريف لها هو تعريف العلاّمة "عبد الرحمن بن خلدون"(ت 808 هـــ) فهو يرى:« أنّ الناس حين تخطَّوا في كسبهم للمعاش ما هو ضروري وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنُّق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضُّر. ثمّ تزيد حالة الرّفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنّق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوّة إلى الفعل إلى غايتها فيتّخذون القصور والمنازل ويُجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون من استجادة ما يتّخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان»[3].

ويعرّفها حسن إسماعيل بقوله: « الحضارة هي حياة المجتمع المتمثلة في نظمه ومؤسساته وفي مكاسبه وإنجازاته، وفي القيم والمعاني التي تنطوي هذه الحياة عليها. ولهذه الحياة شروط لا تقوم إلا بها، ومن أهمّها: الاستقرار والتعاون والكتابة وبناء المدن، والدولة بما تمثله من جهاز للحكم »[4]

[1]– رولان بريتون – جغرافيا الحضارات – تعريب خليل أحمد خليل – منشورات عويدات، بيروت باريس – الطبعة الأولى 1993.

[2]– علي عزّت بيجوفيتش، الإسلام بين الشوق والغرب، ص 94.

[3]– عبد الرحمن بن خلدون – المقدمّة – دار الجيل، بيروت – دون تاريخ – ص 132

[4] – حسن إسماعيل الدلالات الحضارية في لغة المقدّمة عند ابن خلدون، ص37.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

أمّا عارف نصر محمّد فيعرّفها قائلا: «هي الحضور والشهادة بجميع معانيها التي ينتج عنها نموذج إنساني يستبطن قيم التوحيد، والربوبية، وينطلق منها كبعد غيبي يتعلق بوحدانية خالق هذا الكون وواضع نواميسه، وسننه المتحكم في تسييره، ومن ثم فإن دور الإنسان، ورسالته هي تحقيق الخلافة عن خالق هذا الكون في تعمير أرضه، وتزجية[تيسير] معاش الناس فيها، وتحقيق تمام التمكين عليها»[1].

أمّا العلّامة "البشير الإبراهيمي" فهو يرى أنّ «الحضارة هي في الحقيقة تراث إنساني تسلّمه أمة إلى أمة، وتأخذه أمّة عن أمّة فتزيد فيه أو تنقص منه بحسب ما يتهيّأ لها من وسائل وما يؤثر فيها من عوامل ...»[2]، ولعلّ هذا التعريف هو الأكثر ملاءمة لمفهوم الحضارة التي يتخذها النقد الحضاري موضوعا حيويا للدراسة.

ومن الملاحظ أنه قد اختلف الباحثون الغربيون الذاهبون هذا المذهب في تسمية هذا وذاك من الصنفين المذكورين بـــ (culture) و(civilisation) فمنهم من أطلق الأولى على مجموع المظاهر العقلية، والثانية على المظاهر المادية، ومنهم من عكس هذه التسمية.[3] على غرار "تايلور" في كتابه الثقافة البدائية.

وكثيرا ما لعبت الترجمة لعبتها في جعل المصطلحين مصطلحا واحدا، حيث «برز استخدام اللفظ العربي "حضارة" مقابل اللفظ الانكليزي "culture" في كتابات علم الاجتماع والأنثربولوجيا العرب وترجماتهم للمؤلفات الأوروبية في هذين الحقلين، ومن

[1]– عارف نصر محمد، الحضارة الثقافة المدنية، ط1، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1414هـــ، 1994م، مج1، ص59.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص374.

[3]– حسن إسماعيل، الدلالات الحضارية في لغة المقدمة عند ابن خلدون، ص 39.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

ثم فقد شاع الحديث عن مفهوم الحضارة والمقصود به الـ"culture" في المدلول الأوروبي، فنجد مثلا الذين ترجموا كتابات كلايد كلوكهولن، ورالف لنتون ولويس مورغان وجوردن تشايلد...إلخ استعملوا في ترجماتهم لفظ حضارة كترجمة لـ "culture" ويلاحظ هؤلاء المترجمون عندما يتعرّضون للفظ الأوروبي "culture" يطلقون عليه اللفظ الأوروبي مدنية»[1] ولعلّ ذلك يبرر التعبير عن النقد الحضاري بمصطلح النقد المدني أحيانا.

وليس بعيدا عن الترجمة دائما نجد "إحسان محمّد الحسن" مترجم معجم علم الاجتماع لدينكن متشل يعرّب مادّة "Culture" تحت عبارة "الحضارة". وهكذا تزاحمت العبارتان "الحضارة" و"المدنيّة" في الكتابات العربيّة المعاصرة للدلالة على معنى واحد أو على معان متداخلة. فيقول "جميل صليبا" مثلاً في معجمه الفلسفيّ: «الحضارة بمعنىً ما مرادفة للثقافة. إلاّ أنّ هذين اللفظين لا يدلاّن عند العلماء على معنى واحد، فبعضهم يطلق لفظ الثقافة على تنميّة العقل والذوق، وبعضهم يطلق لفظ الثقافة على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات. وكذلك لفظ الحضارة، فإنّ بعضهم يطلقه(...) على حالة من الرقيّ والتقدّم في حياة المجتمع بكاملها. وإذا كان بعض العلماء يطلق لفظ الثقافة على المظاهر المادّيّة، ولفظ الحضارة على المظاهر العقليّة والأدبيّة، فإنّ بعضهم الآخر يذهب إلى عكس ذلك ... »[2] ولكن بالرّغم من ترجمة مصطلح civilisation الغربي إلى "ثقافة" العربي إلاّ أنّ الفروق تبقى قائمة، ويبقى المصطلح غير دقيق، إضافة إلى إنّه يمتدّ إلى كلّ المعارف التي تتصل بهذا المصطلح.

[1] – المرجع نفسه، ص37.

[2] –جميل صليبا – المعجم الفلسفي بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة واللاتينيّة – دار الكتاب اللبناني – مادّة «الحضارة».

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

وقد أطلق"ألفرد فيبر" Alfred Weber مصطلح "Civilization" على «"نموٍّ فروع المعرفة وتقدُّم سبل السيطرة على القوى الطبيعيّة، ذلك التقدُّم المتماسك الّذي له نظام منتظم ينتقل من شعب إلى آخر"، ويفرّق بين هذه الظاهرة والظاهرة الّتي يصنِّفها تحت اسم "Culture" الّتي "لا تسير في خطٍّ واضح المعالم كما تسير عمليّة المدنيّة"»[1]

ونظرا للخلط الكبير بين المصطلحين عقد "علي عزّت بيجوفيتش" مقارنة بين كلّ من "الثقافة" و "الحضارة" كاشفا عن مواطن التشابه والاختلاف بينهما مبيّنا أنّ[2]:

– الحضارة تعلّم أمّا الثقافة فتنوّر، تحتاج الأولى إلى تعلّم أمّا الثانية فتحتاج إلى تأمّل.

– الثقافة تبدأ بالتّمهيد السّماوي بما اشتمل عليه من دين، وفن وأخلاق وفلسفة، وتظلّ الثقافة تعنى بعلاقة الإنسان بتلك السماء التي هبط منها، فكلّ شيء في إطار الثّقافة إمّا تأكيد أو رفض أو شك أو تأمّل في ذكريات ذلك الأصل السّماوي للإنسان، وتتميّز الثّقافة بهذا اللّغز، وتستمرّ هكذا خلال الزّمن في نضال مستمر لحلّ هذا اللّغز.

– حامل الثقافة هو الإنسان ،وحامل الحضارة هو المجتمع ،ومعنى الثقافة القوة الذاتية التي تكتسب بالتنشئة أما الحضارة فهي قوة على الطبيعة عن طريق العلم . فالعلم والتكنولوجيا والمدن والدول كلها تنتمي إلى الحضارة ،وسائل الحضارة في الفكر واللغة والكتابة وكل من الثقافة والحضارة ينتمي أحدهما للآخر . كما ينتمي عالم السماء إلى العالم الدنيوي، أحدهما "دراما" الآخر "طوبيا"

[1]– دينكن متشل – معجم علم الاجتماع – ترجمة ومراجعة : إحسان محمّد الحسن – دار الطليعة، بيروت – الطبعة الأولى 1980 – مادّة Civilization

[2]– ينظر، علي عزّت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ص 94– 98.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

– «إن الروح الهيلينية والذكاء الروماني» هو الفارق بين الثقافة والحضارة.

من خلال هذا يتبيّن أنّ الثقافة مختصة بالروحانيات والمعتقدات والأديان، أمّا الحضارة فهي مختصّة بالماديات «فالدين ينتمي إلى الحياة والفن والثقافة، أمّا الإلحاد فينتمي إلى التّنظيم والعلم والحضارة»[1].

وعليه كان للتداخل بين مصطلحي "ثقافة" و"حضارة" قد لعب دورا كبيرا في التداخل بين النّقد الثقافي والنّقد الحضاري، خاصة وأنّ العلاقة بين الماديات والروحانيات تعدّ علاقة تكاملية. وهذا ما يفسّر سر إلحاح "مالك بن نبي" على الفكرة الدينية، وتركيزه على الانطلاق منها في تكوين الحضارة، لأنّ الإيمان هو الذي يحفّز على بناء الحضارة حسبه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الترجمة أسهمت بشكل كبير في زيادة نسبة التداخل فإن كانت الثقافة تعني الحضارة عند معظم الباحثين فإنه لا محالة نجد النقد الثقافي بمعنى النقد الحضاري أيضا.

ورغم التداخل الموجود بين النقد الثقافي والنقد الحضاري إلا أننا نجد بعض الفروق الطفيفة والتي تتلخص في طبيعة الموضوع المدروس ضمنهما، فضمن النقد الحضاري تتسم "الحضارة بخاصية التحول، أما الأنساق الثقافية فتتسم بالثبات والديمومة"[2] ضمن النقد الثقافي، بالإضافة إلى أنّ "النقد الحضاري لا يتعامل مع الخطاب بوصفه تمثيلا للعالم فحسب، بل بوصفه وعيا حضاريا، أو نقدا لممارسات غير حضارية"[3].يعتبرها النقد الثقافي عادية لأنه يعيد الاعتبار للهامشي والمرفوض والشعبي ويخلق له مكانا في الثقافة، هذا الهامشي يعدّ غير حضاري ضمن النقد الحضاري وهذا

[1]– المرجع نفسه، ص111.

[2]– عبد الفتاح أحمد يوسف، النقد الحضاري للخطاب، ص23.

[3]– المرجع نفسه، ص 23.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 871–906 تاريخ النشر: 25–03–2021

يعدّ فرقا جوهريا نستطيع عن طريقه التمييز بينهما، ونخلص إلى نتيجة مفادها: إنّ النقد الحضاري ينتمي إلى المؤسسة الرسمية ويحرص على احترام مبادئها ضمن ممارسته للعملية النقدية، بعكس النقد الثقافي الذي يتمرّد عليها ويرفض الرضوخ لمبادئها.

الخاتمـــة:

يعدّ التداخل بين المصطلحات النمط الأكثر شيوعا في مجال صناعة المصطلح وإشكالياته، لأنّ التداخل بطبيعته يبعث على التعدّد الذي يخلق فوضى خاصة في مجال العلوم الإنسانية، وبعد مناقشتنا للتداخل بين النقد الثقافي والنقد الحضاري، توصلنا إلى نتيجة مفادها أنّ أسباب التداخل هي: كون القضايا التي يناقشانها متقاربة، كما أنّ الطابع الشمولي ميزة لكليهما، إضافة إلى أنهما يشتركان في المهمة والهدف الذي ينشدانه، إنّهما يتميزان بقراءتهما الواعية للواقع الذي يقبع في الخطاب، هذا من جهة، من جهة أخرى كان لعدم التفرقة بين الثقافة والحضارة في كل المجتمعات دورا كبيرا في هذا التداخل. لكن رغم التداخل الكبير بينهما إلّا أننا لا يمكن أن نختزل أحدهما في الآخر، وإن توجّب علينا ذلك فإننا سنقع في إشكالية مصطلحية أخرى، إنّ جهل الفرق الجوهري بين المصطلحين كان سبب خلط النقاد والمفكرين بينهما، في حين لو فهم الباحثون أنّ الحضارة متغيّرة والأنساق الثقافية ثابتة، لما خلطوا بين المفهومين ولما أفضى الخلط إلى التداخل، وعليه فإنه لا بدّ من التّمعّن الجيّد ولا بدّ من تحري الدقة ليس عند صناع المصطلح فقط بل عند مستعمليه أيضا، لأنّ الاستعمال العشوائي هو السبب الرئيسي لكل إشكاليات المصطلح.